

دراسة الكتب السماوية والعلامة حميد الدين الفراهي

- د. محمد أفضل الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي²

القرآن كتاب الله وكلامه، يناجي به العبد ربه، ووسيط بين الله وخلقه يتقرب به المؤمن الخالص إلى الله، فالتعلق به دليل على علاقته بالله، فإذا كان القرآن أحب الكتب إليه كان الله أحب إليه من كل موجود، والإنسان لا يتمتع بأفضاله وبركاته ولا يستنير بنوره إلا قدر رغبته فيه وانقطاعه إليه، الإنسان يمكن أن يكون مقرأً بسعته في العلوم والفنون بلسان مفسر أو عالم ولكنه لا يستطيع أن يذوق حلاوته وما فيه من فوائد إلا بدراسته الذاتية وتفكيره العميق في أسرارها ولا يبلغ مرامه إلا أن ينظر فيه بعيداً عن كل عصبية فكرية، فإن تدبره ولديه فكرة خاصة فلا يفسره إلا حسب غرضه ولا يأخذ منه إلا ما يؤيد مذهبه وبذلك يخل بنظمه ويعيب جماله ويفتك ببلاغته ويذهب بتأثيره كما يشعر بالملل عند قراءته فلا ينال منه شيئاً ولا يستفيد من هذا البحر الفائق الشاطئ المشحون بالآلآي والجواهر إلا حصي، وقد ضرب له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال: "إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت".³

يجب على من يتصدى لفهم القرآن والاستفادة منه أن يتضلع من اللغة العربية ويدرس الأحاديث الواردة وتاريخ الأمم الماضية ثم يتفكر فيه في ضوء نظمه البديع ونظائره وأساليب بلاغته ويستعين في تفصيل ما أجمل وإجمال ما فصل بالأحاديث

¹ متخرج في مدرسة الإصلاح وطبيب حكومي

² مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي

³ مسلم بن الحجاج: الصحيح المسلم، كتاب فضائل القرآن، مطبعة كلكتا، 267/1

الصحيحة وبما ثبت من تاريخ الأمم السابقة وبالصحف السماوية الأخرى، والآن يدور بحثنا حول الصحف السماوية الأخرى ونكتفي بذكر أهميتها ودورها في فهم القرآن حيث إن القرآن نفسه يحيل إلى ما ورد فيها من قصص وأمثال دونما مرة واحدة، قال جل من قائل: "أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى" (سورة النجم: 36-37)، وقال: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (سورة الأنبياء: 105) وجاء في سورة الأعلى: "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى" (سورة الأنبياء: 105) "صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" (سورة الأعلى: 18-19)

تشير هذه الآيات الكريمة إلى أهمية دراسة الصحف السماوية الأخرى، وكذلك أحاديث الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام نستفيد منها اختيار المسلك الوسط بالنسبة لهذه الكتب،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم".¹ يتضح من ذلك جلياً أن أخبار الكتب المقدسة التي لا يصدقها القرآن والحديث ولا يكذبانها نتوقف عنها، ولا بأس بالتي يصدقها القرآن والحديث وأما التي يكذبانها فلنتركها كل الترك.

ويبدو من هذا التفصيل أنه لا ينبغي لنا أن نأخذ من الصحف السماوية بصفة العميان لأن المبطلين قد أدخلوا فيها كثيراً مما عندهم وبدّلوا صور الكلم وترتيب الجمل حسب أهوائهم إلا أنها قد حفظت لنا كثيراً من الحقائق والمعارف وبعض المعالم والشواهد التي لا تدل على الحقيقة فحسب بل تكشف الستار عن وجوه المحرفين الضالين، فيمكن أن نطلع بالتفكر في الصحف ودراستها على رموز وحقائق تصدق ما يحتوي عليه القرآن وتوضح ما أجمل منه وتفسر ما يحتاج إلى ذلك، والحق أن التوراة والإنجيل نزلا باللغة العبرانية والعبرانية والعربية مصدرهما

¹ البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، مطبعة ديوبند، 1094/2

واحد، هناك تشابه كبير بين الكلمات الواردة والأساليب المتبعة فيهما، ومن المعترف أن اللغات المتشابهة تتعاون بعضها مع بعض في فهم معانيها، والمجمع عليه بين علماء الإسلام أن الأصول الكتب المنزلة كلها ومحتوياتها الأساسية وأمورها الكلية تجمعها وحدة كلية، فالأخذ منها بما يعين في فهم القرآن مع بحث وحذر، لا يخلو من الفائدة بل يكشف عن كثير من أسرار القرآن ويحل عقد كثير من غوامضه.

وقد رجع كثير من العلماء والمفسرين إلى الصحف السماوية في فهم كثير من كلمات القرآن ومحتوياته وسعوا من خلالها للتوصل إلى مدلولات من القرآن الكريم: والعلامة حميد الدين الفراهي ممن يجدر بالذكر من بين هؤلاء المفسرين فإنه انقطع إلى القرآن ووجه كل عنايته إلى هذا المصدر الأول الأصيل وصرف مجهوداته في البحث والتحقيق نحو ما يتعلق به ويدور حوله وخلف ورائه مآثر قيمة في علوم القرآن الكريم.

الأصول المتبعة عند العلامة الفراهي للنظر في الكتب المنزلة السابقة:

1. أما الكتب السابقة فجعلها في العبرانية وهي صنو لغة العرب فهي أشبه بها ظاهراً كما أن بين الكتب السابقة والقرآن الكريم مشابهة قوية في المعنى والمضمون.¹
2. لا يعتمد على ما وافق هواهم وخالف ما ورد في القرآن ولو وقع فيه صريحاً لأنهم بدلوا وحرفوا كثيراً.
3. من بدل وحرف فربما يخلط الحق بالباطل بإدخال تغييرات وتحريفات حسب هواه وما بقي فيها من ملامح الحق على رغم ذلك يؤخذ به باقتضاء النص وإشاراته ويتمسك بالأمور التي فاتها التحريف.
4. الأمر الحق يجمع حوله حقائق وشهادات ويبقى الكذب مخدولاً فيستدل عليه بتطبيق الآيات والروايات وأجزاء الواقعة الواحدة وما يتصل بها.

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي: أساليب القرآن، الدائرة الحميدية، 1389هـ، ص 3

5. يرجع إلى ما علم واشتهر من تاريخ الأمم وأحوالها.¹
6. وقد يسأل سائل: لما كانت الكتب المقدسة غير مصونة فكيف نفسر كتاباً محفوظاً بالقي لم تحفظ؟ يقول الإمام الفراهي ردّاً على هذا السؤال: "إن الأمر كما ظننت لكننا أولاً نفهم القرآن من نفسه ولغته لغة العرب، ثم إذا رأينا في الكتب المقدسة ما يقاربه معنى تأملنا في أسلوبها لتتضح بلاغة القرآن وتزداد الثقة بما رأينا، ويتبين لنا معنى بعض كلام الوحي القديم المشتبه المحال في الظاهر فيكون دليلاً لأولي الفهم من أهل الكتاب على صحة القرآن دليلاً لتأعلى صحة كتبهم وذلك يفتح لنا باب الوفاق والانسجام مما يقربنا إلى الهداية".²
- ولو تدبر أحدنا وتفكر في الكتب المقدسة في ضوء هذه الأصول يتضح له أن القرآن أعلى وأرفع من أن يجعل اليهود وكتبهم المحرفة مركزاً له ومحوراً يدور حوله بل هو مصلح للكتب السابقة وما يتخيله اليهود وكاشف عن تحريفاتهم وأباطيلهم.
- وقد ألف العلامة الفراهي كتابين عن الكتب السماوية أحدهما: "الإكليل في شرح الإنجيل" وشرح فيه كلمات وعبارات حرفها النصارى على الخصوص ولكن من الأسف لم يمهله الأجل لإتمامه وإكماله ومع ذلك فإنه نادر لا يوجد له نظير.
- وثانيهما "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح" فقد بحث فيه الإمام الفراهي عن حقيقة الذبيح وأهميته في الإسلام ثم أثبت بالأدلة الثابتة من القرآن والتوراة أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق -عليهما السلام- على خلاف ما ادعاه أهل الكتاب.
- ومقابلة العلامة الفراهي لسورة الفاتحة على دعاء النصارى وتأثير الريح في إهلاك الأقوام البائدة وتحقيق المواقع التاريخية من القرآن المجيد في ضوء الصحف السماوية، كل ذلك يميزه عن عامة المفسرين ونكتفي هنا بالكلام عن هذه الأمور الثلاثة:

¹ الإمام عبد الحميد الفراهي: الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، الدائرة الحميدية، 1414هـ، ص 38

² الإمام عبد الحميد الفراهي: فاتحة نظام القرآن، مطبعة إصلاح، 1357هـ، ص 15

1. قد جاء في الحديث النبوي الشريف أنه لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل مثل سورة الفاتحة: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد، فقال: إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن الكريم مثلها، قال أبي: فجعلت أبطن في المشي رجاء ذلك، ثم قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! السورة التي وعدتني، فقال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة، قال: فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين، حتى أتيت آخرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت".¹

وفي حديث قدسي رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: "الحمد لله رب العالمين"، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: "الرحمن الرحيم"، قال الله: أثني علي عبدي، فإذا قال: "مالك يوم الدين"، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض علي عبدي، فإذا قال: "إياك نعبد وإياك نستعين"، قال هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: "اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل".²

يقول الإمام الفراهي بعد ذكر فضيلة سورة الفاتحة في ضوء هذا الحديث القدسي: "إننا نجد ما يقاربها في صلاة علّمها عيسى عليه السلام للحواريين، وإن كانت النصراني قد نسوا بعض عباراتها ومدلولها..... فلنذكره لتتضح مطابقتها وبراعة القرآن، في الإنجيل المنسوب إلى لوقس: "قد وقع إنه (عيسى)

¹ الإمام مالك: المؤطا، مطبعة أشرفي بديوبند، ص 28

² الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، 1/ 170

كان يصلي في مكان فلما فرغ سأله بعض حواريه: مولانا علّمنا الصلاة كما كان يحيى يعلمها أتباعه، فقال لهم: إذا صلوا قولوا، أبانا الذي في السماء سبحان اسمك ليأتين ملكك ليقعن رضاك في الأرض كما في السماء أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا واعف عنا فإننا أبضاً نعفو عن كل من عليه حقنا ولا تهدنا إلى الفتنة بل أنقذنا من الشر".¹

وقد قارن الإمام الفراهي بين الدعاء المذكور أعلاه وسورة الفاتحة فلنلخصه فيما يلي:

الدعاء الذي علمه عيسى عليه السلام:	دعاء سورة الفاتحة
سبحان اسمك	الحمد لله
أبانا الذي في السماء	رب العالمين
ليأتين مبكك	مالك يوم الدين
أعطنا كل يوم وظيفة خبزنا واعف عنا	اهدنا الصراط المستقيم صراط
فإننا أيضاً نعفو عن كل من عليه حقنا	الذين أنعمت عليهم غير
ولا تهدنا إلى الفتنة بل أنقذنا من الشر	المغضوب عليهم ولا الضالين ²

¹ الفاتحة: 59

² المصدر السابق، ص 59، هناك زيادة مني في ضوء أصول الإمام الفراهي، فنقول للقارئ الكريم: أن ينسب إلي ما يشعر فيه من الأخطاء ويعزو إليه ما يرى فيه من المحاسن. (الكاتب).

2. يبدو من دراسة الآيات التي ذكرت فيها الأقوام البائدة أن الريح لها دور رائع في إهلاكها فقد كثر إليها الإشارة في القرآن والتوراة، مثلاً: قد عبر عن الرياح في موضع بجنود الله، يقول الله عز وجل: "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" (سورة الفتح: 4)، وفي موضع آخر قال: "فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (سورة الأحقاف: 24)، وأيضاً: "وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ" (سورة الذاريات: 41).

وقد ذكر في التوراة هلاك قوم موسى عليه السلام بهذا الأسلوب، فجاء: "ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء".¹

وقد ذكر في سفر الخروج أنشودة الحمد لموسى عليه السلام: "نفخت بريحك فغطاهم البحر".²

وكيف تتم الريح أمره؟ قال العلامة الفراهي استناداً إلى آية الزبور الآتية: "سبحي الرب من الأرض يا أيها التنانين وكل اللجج، النار والبرد والثلج والضباب، الريح العاصفة الصانعة كلمته".³

ولدورها الرائع بين أنواع العذاب السماوي يعدها الإمام الفراهي سبباً أصيلاً في إهلاك أبرهام وبنوده فيقول: "وبالجملة فلا بد أن الله تعالى رماهم بالحصباء والغبار من السماء والهواء كما رمى قوم لوط فأصابت أجسامهم من كل جهة".⁴

¹ الخروج، الباب: 14، الآية: 21

² الخروج، الباب: 15، الآية: 10

³ المزمير، 148، الآيتان: 7-8

⁴ الإمام عبد الحميد الفراهي: تفسير سورة الفيل، الدائرة الحميدية، 1354هـ، ص 26-27

3. لم يرد في القرآن الكريم تصريح بالجهة التي قصدها موسى عليه السلام عندما طالب موسى بإرسال قوم بني إسرائيل: "أن أرسل معنا بني إسرائيل" لما نجاه الله تعالى من عذاب فرعون وملته؟ إلا أن عبارة التوراة تلقي بعض الضوء على ذلك، فقد جاء فيها. فقال موسى: "أنت تعطي أيضًا في أيدينا ذبائح ومحرقات لنصنعها للرب إلهنا.... ونحن لا نعرف بما ذا نعبد الرب حتى نأتي إلى هناك".¹

وقد جاء في الخروج: "فدعا موسى وهارون ليلاً، وقال: قوموا، اخرجوا من بين شعبي، أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا، واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضًا، وبقركم كما تكلمتم، واذهبوا، وباركوني أيضًا".²

والذي أمر الله به موسى في الذبح هو: "قدس لي كل بكر كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم، إنه لي"،³ وفي ضوء نصوص التوراة التي تتضمن الذبح والعبادة وكل البكر من البهائم يرى الإمام الفراهي أن موسى عليه السلام كان يقصد بقومه مكة المكرمة وهذا لأنه موضع تاريخي أراد فيه إبراهيم عليه السلام أن يذبح لله ابنه إسماعيل عليه السلام.

ويستفاد من هذه التصريحات:

- ألف- إن القرآن يصحح أخطاء الصحف المقدسة، ويهدي أهل الكتاب إلى الحق.
ب- وإن تنازعنا في شيء فلنرده إليه لأنه كتاب مصون من التحريف والتبديل.
ج- ونكشف به ما وقع فيها من التعارض والتناقض يعول عليه في تصحيح الأخطاء التي تمسك به المناصرون للإسرائيليات.

¹ الخروج، الباب: 10، الأيتان: 25-26

² الخروج، الباب: 12، الأيتان: 30-31

³ الخروج، الباب: 13، الآية: 2، لم يذكرها الفراهي ولكننا ذكرناها في ضوء أصوله وتجد في الأصل قوله: إنه كان يريد بني إسرائيل مكة المكرمة (الكاتب).

العدد الخاص مجلة الهند

د- ويتضح لأهل الكتاب أن القرآن لا يلتقط من كتبهم وإنما يكشف الستار عن أخطائهم وأوهامهم.

هـ- ويسهل به تفسير مهمات القرآن التي تشير إلى بعض ما ذكر في التوراة.

و- ويزداد الإيمان بصحة الرجوع إلى الكتب السماوية لإدراك بعض الجزئيات.

ز- يتحقق وعد القرآن بأنه يكشف عما التبس على أهل الكتاب من الأمور، فتطمئن بذلك قلوبنا.

ح- وعند مواقع الاستدلال بما عندهم تزداد ثقتنا بما عندنا.

ط- ويزداد الإيمان قوة بأنها نزلت من الله ودخلها التحريف فيما بعد.